التوازي التركيبي
مفهومه ووظائفه وأنواعه

م.م. اسراء غانم محمد	قسم اللغة العربية كلية التربية / جامعة الحمدانية
أ.م.د. عبد الله خليف خضير الحياني	قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل

الملخص

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على مفهوم التوازي التركيبي إذ إنّه كان مثارا للباحثين، فحظي بأبحاث ودراسات متعددة ومختلفة وكان لكلّ فريق تأويله الخاص الذي يمليه عليه تصوره لذلك المفهوم، إلاّ أنّ تلك البحوث والدراسات قد تلتقي في المقاصد النهائية لهذا الفهم عبر عدّه الية مهمة من اليات تماسك النص وترابطه وانسجامه فضلاً عن تداخله مع التكرار الذي يلتقي معه في مواضع عدة ممّا منحه بعدا تأثيريا في المتلقي عبر التساؤل عن سبب ذلك التكرار التركيبي المقصود في النص، فالتوازي تكرار غير كامل؛ من هنا جاءت الدراسة للبحث في التوازي التركيبي ووظائفه وانواعه ودالاته، فتناولت الدراسة التوازي التركيبي انطلاقا من اللغة الى الاصطلاح وكذلك التوازي عند القدماء والمحدثين فصلا عن المصطلحات المتواردة على

التوازي ومفهومه أنواعه والدوال الكلامية له في اللغة.

Syntactic parallelism: its concept, functions and types

Israa Ghanem Muhammad Dr. Abdullah Khalif Khudair Al - Hayani
the department of Arabic language the department of Arabic language
College of Education College of Arts
Al - Hamdaniya University University of Mosul

Abstract

This research attempts to shed light on the concept of structural parallelism, as it has been of interest to researchers. It has been subjected to multiple and different researches and studies, and each group has its own interpretation dictated by its perception of that concept. However, these researches and studies may converge on the ultimate goals of this understanding by enumerating one of the important mechanisms. The cohesion, interconnectedness, and harmony of the text, as well as its interpenetration with repetition that meets it in several places, which gave it an impactful dimension on the recipient by asking about the reason for that intended synthetic repetition in the text. Parallelism is incomplete repetition; From here, the study came to investigate syntactic parallelism, its functions, types, and functions. The study dealt with syntactic parallelism, starting from language to terminology, as well as parallelism among the ancients and moderns, with a chapter on the terms used on parallelism, its concept, its types, and its verbal functions in the language.

التوازي من اللغة الى الاصطلاح:

ورد التوازي في المعاجم العربية وكانت دلالاته متنوعة تبعا لطبيعة هذا الاستعمال اللغـــوي، فـ«(وَزَاَ) الْوَاوُ وَالزَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَوِ الْمَهْمُوزُ: أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعٍ فِي شَيْءٍ وَاكْتِنَازٍ. يُقَالُ لِلْحِمَارِ الْمُجْتَمِعِ الْخَلْقِ: وَزًى، وَلِلرَّجُلِ الْقَصِيرِ وَزًى. وَهَذَا غَيْرُ مَهْمُوزٍ. وَأَمَّا الْمَهْمُـــوزُ فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَزَّأْتُ الْوِعَاءَ تَوْزِيئًا وَتَوْزِئَةً، إِذَا أَجَدْتَ كَنْزَهُ» (ابن فارس، 1972: 107/ 6).

وممّـــا جاء من المعاني اللغويـــة للفظة (وزي) ما ذكره ابـــن دريد في معجمه لمادة (زوي): وزويـــت الشَّيْء أزويه زيا وزويا إذا جمعته. وزوى الرجل وَجهه إِذا قَبضه. قَالَ الشَّاعِر:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّـــرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى بَـــيْنَ عَيْنَيْهِ عَـــلَيَّ الْمَحَاجِمُ

(الأعشى، 1950: 79).

وَفِي حَدِيث النَّبِي (صلى الله عَلَيْهِ وَســـلم): (زويت لي الأَرْض)[1] كَأَنَّهَا جمعت. وانـــزوت الْجِلْدَة فِي النَّـــار إِذا تقبضت ودنا بَعْضهَا من بعض. وَمِنْه اشـــتقاق زَاوِيَة الْبَيْت (ابن دريد، 1987، ينظر: 1/ 237).

وذكر ابن ســـيدة معنى (وزي) بقولـــه: «وَزَي الشَّيءُ يَـــزِي: اجتَمَعَ وتَقَّيضَ. والوَزَي: الحِمارُ الشَّدِيدُ النَّشِـــيطُ. والوَزَي: القَصِيرُ مِن الرِّجالِ. واسْتَوْزَي الشَّيْء: انْتَصَبَ. وَأَوْزَي ظَهْره إلى الحائِطِ: أَسْـــنَدَه» (ابن سيدة، 2000: 9/ 119). ومما ذكر في شأن المعنى اللغوي للتوازي هو المحاذاة أو المجاورة (خضير، 2023، ينظر: 15).

فالملاحظ ممّا ســـبق أنّ مفهـــوم التوازي يدور في اللغة حـــول معاني: الاجتماع،

(1) من حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): (زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا، وَمَغَارِبَهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ، الْأَصْفَرَ أَوِ الْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ...)، (ابن يزيد، 1971: ينظر:2/ 1204).

والانقباض، والإسناد، والتماثل، والمحاذاة، والتناظر، والمواجهة، والمقابلة. والذي يهمنا من هذه المعاني هو المقابلة والمواجهة، «قَالَ أَبو البَخْتَرِيّ: فَوازَيْنا العَدُوَّ وصافَفْناهُم؛ المُوازاةُ: المُقابلة والمُواجَهةُ، قَالَ: والأَصل فِيهِ الْهَمْزَةُ، يُقَالُ آزَيْته إِذا حاذَيْتَه» (ابن منظور، 1994: 15/ 391). ويقال: توازى الشيئان: بمعنى وازى أحدُهما الآخر. وهو ما عبّر عنه الدكتور أحمد مختار عمر بالتشابه أو التشاكل أو حتى التماثل، فيقال: هناك توازٍ كبير بين فكره وفكر أبيه (عمر، 2008، ينظر: 2435/ 3).

أمّا في الاصطلاح فقد شغل مصطلح التوازي مساحة كبيرة ضمن عناية النقاد للموروث اللغوي القديم والحديث، ولم تقتصر دراستهم على المصطلحات البلاغية واللغوية القديمة، بل تعدّت إلى الأسلوبية الحديثة، فقد اعتنى الأسلوبيون بالتوازي من حيث أثرُه في التراكيب وفي العمل الأدبي ككلّ، وجعلوا منه محور عنايتهم؛ فمن خلاله تتحقق جمالية النص وتأثيره في المتلقي بإيقاعه الصوتي في الآذان وإيحائه الدلالي في الأذهان.

إنّ المعنى الاصطلاحي للتوازي يشير إلى «ذلك التماثل القائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وهذان الطرفان عبارة عن جملتين لهما البنية نفسها، حيث تقع بين هذين الطرفين علاقة متينة تقوم على أساس المشابهة، أو على أساس من التضاد» (كنوني، 1999: 79).

وهذا يعني أنّ التوازي قائم على تركيبين اثنين من تراكيب اللغة، يبنيان على أساس من التماثل والتجانس النحوي والصرفي، مع الإشارة إلى احتمالية التكرار في عناصر المتعاقبتين اللغويتين، أو ربّما وقع بعض التحول في الجانب الشكلي للوحدة الكلامية، مع المحافظة على النسق التركيبي العام، دون اشتراط التماثل الصوتي بين المتعاقبتين (كنوني، 1999، ينظر: 80).

كما عرِّفَ التوازي بأنّه: «نسق التقريب والمقابلة بين محتويين أو سردين بهدف

البرهنة على تشـــابههما أو اختلافهما. ويتم التشـــديد على تطابـــق أو تعارض الطرفين بواســـطة معاودات إيقاعية أو تركيبية» (نصوص الشكلانيين الروس، 1982: 299). أو هو متواليتان متعاقبتان أو أكثر للنظام النحوي أو الصرفي، مع المصاحبة بتكرارات أو اختلافات تتشـــابه إيقاعياً وصوتياً أو دلالياً، وعادة ما يكون التشابه بين التركيبين المتوازيين باعتبارهما طرفين متعادلين في الأهمية من حيث المضمون والدلالة، ومتماثلين من حيث الشكل في التسلسل والترتيب (رجب، 2000، ينظر: 231).

وهناك تصور آخر للتوازي يتمثل: في تشـــابه البنيات واختلاف المعاني (مفتاح، 1997، ينظر: 259). كما عُرِّف بأنه توازن المنطلقات على مستوى التطابق أو التعارض (فرحان، 1998، ينظر: 29).

ويـــرى الدكتور جميل صليبـــا أن: «الموازاة عند الحكماء هـــي الاتحاد في الوضع وتسمى بالمحاذاة أيضاً» (صليبا، 1982: 237/ 2).

بنـــاء على ما تقدم من عرض لتقنين صورة التوازي فـــإنّ المفهوم العام له ينطلق من فكرة البرهنـــة على تطابق نصين أو سرديـــن، أو اختلافهما من خلال العلاقات التسلسلية بين وحدات هذين السردين وتشابه النهايات الصوتية، فإن هذا التشابه أو التقارب بين السردين أو النصين يؤدي إلى البرهنة على توازيهما (نصوص الشكلانيين الروس، 1982: 229).

وعنـــد إجراء مراجعة في معاجـــم الآداب الأجنبية يتبين أن التوازي يســـتعمل في الميـــدان النحوي والدلالي إيماءً إلى عنصر بنائي في الشـــعر يقوم على تكرار أجزاء متساوية (خضير، 2023، ينظر: 15).

التوازي عند القدماء:

لم تكن ظاهـــرة التوازي مقتصرة في عمقها التاريخـــي والبلاغي على الحضارات

القديمة بل إنّ للعربية قدم السبق في هذا الميدان؛ إذ المتأمل في أشعار العرب ونثرهم ليظفر بالكثير من الشـواهد على نظرية ونسـقية التوازي، وإن لم تكن مقننة عندهم على المستوى الاصطلاحي؛ إذ كانت مضمَّنة في بعض ما يتداولونه من مصطلحات,

ظهـر مصطلح التـوازي في الكتابات النقديـة والبلاغية العربيـة القديمة على شـكل إشـارات خاطفة اقتصرت على تعريف دقيق ثم التمثيل له، كما أنه ظهر في ثنايا تعريف مصطلحات أخرى تشـابهٌ بينها وبين التوازي في خصائص معينة، من ذلك ما جاء على لسـان قدامة بن جعفر (ت 337هـ): «وأحسـن البلاغة: الترصيع والسجع واتسـاق البناء واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ وعكس ما نظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظ مسـتعارة، وإيراد الأقسام موفورة بالتمام، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة, وصحة التقسـيم باتفاق المنظوم, وتلخيص الأوصاف بنفي الخـلاف والمبالغة في الوصف بتكرير الوصف, وتكافـؤ المعاني في المقابلة والتوازي وإرداف اللواحق وتمثيل المعاني... فيؤتى في الموافقة بالموافقة، وفي المضادة بالمضادة، كقولهم: أهل الرأي والنصح لا يسـاويهم ذوو الأفن والغـش، وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة كمن جمع إلى العجز الخيانـة, وإذا تؤمِّلت هذه المقابلات وُجدت في غاية المعادلة؛ لأنه جعل بإزاء الرأيِ الأفنَ، وبإزاء النصحِ الغشَ، وفي مقابلة الكفاية العجزَ، وفي مقابلة الأمانة الخيانةَ» (ابن جعفر، 1979: 202/ 3).

فإذا أردنـا تحليل كلام قدامة بن جعفر نجد أنه عام تحدث فيه أولا عن البلاغة، وذكر قوانين تتعلق بالمعاني، وأخرى بالألفاظ، ولم يحدد مفهوم مصطلح التوازي, بل ذكره تبعاً لمصطلحات أخرى، لذا سنحاول الكشف في السطور القادمة عن المفهوم العام للتوازي عند البلاغيين والنقاد العرب.

ذهـب أبو هلال العسـكري (ت 395هـ) وابن الأثـير (ت 637هـ) والنويري (ت733هـ) والقزويني (ت793هـ) والطيبـي (ت 743هـ) والعلوي (ت 745هـ)

وابن قيم الجوزية (ت751هـ) والسيوطي (ت911هـ) إلى أن التوازي قسم من أقسام السجع (خضير، 2023، ينظر: 16، 17). قال النويري (ت733هـ): «والسجع أربعة أنواع وهي: الترصيع، والمتوازي، والمطرف، والمتوازن» (النويري: 105/ 7).

أما أبو هلال العسكري (ت395هـ) فقد استعمل التوازي في معنيين: الأول بمعناه اللغوي وهو (المواجهة والمقابلة) قال معرض حديثه عن المقابلة: «وقول الآخر:

أَسَرْنَاهُم وأَنْعَمْنَا عَلَيْهِم وأسقَيْنَا دِمَاءَهُم التُّرَابَا
فَمَا صَبَرُوا لِبَأسٍ عِنْدَ حَرْبٍ ولا أَدَّوْا لِحُسْنِ يَدٍ ثَوَابَا

ديوان الطرماح: 564)

فجعل بإزاء الحرب أن لم يصبروا، وبإزاء النعمة أن لم يثيبوا، فقابل على وجه المخالفة» (العسكري، 1984: 373).

أمّا المعنى الآخر للتوازي فجعله جزءا من السجع، ولكنه هنا حاول أن يتوسع في مفهوم التوازي فصيّره مرادفاً للتعادل، ومن ذلك قوله: السجع على وجوه: فمنها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر, مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه. كما فسّر التعادل بالتساوي في قوله: فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان والفواصل على حرف واحد (العسكري، 1984، ينظر: 287). ثم فسّر التساوي بالتوازي في قوله: «فهذه الفواصل متوازية لا زيادة في بعض أجزائها على بعض بل في القليل منها، وقليل ذلك مغتفر» (العسكري، 1984: 287). فهو يساوي بين التوازي والتعادل والتساوي، واستعملهم استعمالاً واحداً كما استعمل الموازنة بمعنى المعادلة (العسكري، 1984، ينظر: 288) (بغدادي، 2017، ينظر: 43).

كما عرّفه باسم التشطير بقوله: «أن يتوازن المصرعان أو الجزءان وتتعادل أقسامهما

مع قيام كل واحد منهما بنفســه واستغنائه عن صاحبه, ومَثَله نثراً قولُ بعضهم: «من عتب على الزمان طالت معتبته، ومن رضي عن الزمان طابت معيشته» (العسكري، 1984، ينظر:436)، ومثله شعراً قول أبي تمام:

أحاولتِ إرشادي؟ فعقلي مُرشدي أَمِ استَمْتِ تَأَديبي فَدَهْرِي مُؤَدبي

وتابــع ابن الأثير العســكري في إطلاق التوازي بمعنى التســاوي وقال: «فمما جــاء من هذا النوع منثوراً قول الحريري في مقاماته: (فهو يطبع الأســجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه) فإنه جعل ألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية، فجعل (يطبع) بإزاء (يقرع) و (الأسجاع) بإزاء (الأسماع) و (جواهر) بإزاء (زواجر) و (لفظه) بإزاء (وعظه) » (ابن الأثير، 1983: 1/ 398).

وقرر السكاكي (ت626هـ) لمصطلح المقابلة تعريفا قريباً مما نحن بإزائه إذ يقول: «هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر أو بين ضديهما، ثم إذا اشترطت هنا شرطا شرطت ضده» (السكاكي، 1981، ينظر: 423)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [سورة الليل، الآيات: 5 – 10].

كما أطلق ابن أبي الأصبع المصري (ت645هـ) على هذه الظاهرة مصطلح المماثلة وعرفهــا بالقول: «هي أن تتماثــل ألفاظ الكلام أو بعضها في الــوزن دون التقفية» (أبي الإصبع: 297) ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْـتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الصافات، الآيات: 117 – 118).

فيما اطلق القزويني (ت739هـ) على هذه الظاهرة مصطلح الموازنة وعرفها بقوله: «هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية، ومثّل لذلك قولَه تعالى:

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [سورة الغاشية، الآيات:15 – 16) (القزويني، ينظر: 398).

أمّـا الكفوي (ت1094هـ) فقد كانت نظرته لمفهـوم التوازي مختلفة، فلم يجعله قسماً من أقسام السـجع, وإنّما نظر إليه على أنّه اتفاق الشيئين في الخاصة وفي الكيفية وفي الكمية والنوعية، فعنده «المشاكلة»: هي اتفاق الشيئين في الخاصة، كما أن المشابهة اتفاقهما في الكيفية، والمسـاواة اتفاقهـما في الكمية، والمماثلة اتفاقهـما في النوعية... والموازاة اتفاقهما في جميع المذكورات (الكفوي، 1998، ينظر: 843).

وفي القرن الثامن للهجرة النبوية الشريفة ظهرت دراسة للعالم السجلماسي وسّع فيها مفهوم التوازي، فلم يكن بمنأى عن مفهوم السـجع, غير أنّه قرنه بمصطلحي «المعادلة والمناسـبة»، حيث عـرّف المعادلة بقوله: هي «إعـادة اللفظ الواحد بنوع الصور فقط في القول، بمادتين مختلفتي البناء مرتين فصاعدا، وتحته نوعان «الترصيع والموازنـة»، فعرّف الترصيع بأنه: إعادة اللفظ الواحد بالنوع في موضعين من القول فصاعـدا، هو فيهما متفق النهاية بحرف واحـد، والموازنة: هي إعادة اللفظ الواحد بالنوع في موضعين من القول فصاعدا هو فيهما مختلف النهاية بحرفين متباينين، وذلك أن تصير أجزاء القول متناسبة الوضع، متقاسمة النظم، معتدلة الوزن، متوخياً في كل جزء منهما أن يكون بزنة الآخر دون أن يكون مقطعهما واحداً (السـلجماسي1980، ينظر: 518). أما المصطلح الثاني الذي اعتنى به السـجلماسي هو المناسـبة، ويعرفها بأنها: تركيب القول من جزئين فصاعدا كل جزء منهما مضاف إلى الآخر، ومنسوب إليه بجهة ما من جهة الإضافة، ونحو من أنحاء النسبة، ولها أربعة أنواع هي:

- **إيراد الملائم**: وهو أن تجمع بين الشيء وشـبيهه مثل الشمس والقمر يتشابهان في الإضاءة.

- **إيـراد النقيض**: وهـو أن تجمع بين الشيء وضده نحو: الليـل والنهار، وهما

متناقضان في الإضاءة وعدمها.

- **الانجـــرار**: وهو الجمع بين الشيء وما يســـتعمل فيه مثـــل اللجام والفرس، والفرس ينجر عنه كبح سرعة الفرس.

- **التناسب**: وهو الجمع بين الشيء وما يناسبه نحو: القلب والمَلك، فالقلب سيد في البدن كما أن الملك سيد في مدينته (السلجماسي1980، ينظر: 518، 519).

لقد كان للقدماء فضل الســـبق إلى رصد هذه الظاهرة وتســـليط الضوء إليها في دراستها وتحليلها، إلا أن تحليلهم لها لم يتعدّ حدود الشاهد الواحد، أو البيت الواحد، ولم يتخط ذلك إلى حدود النص؛ إذ قسّموا السجع في الكلام المنثور إلى ثلاثة أقسام: المتوازي، والمطرف، والمرصع، ويقابله التصريع والتشطير في الكلام المنظوم الموزون في الشعر. ألا أنه ينبغي إيلاء مصطلح التوازي الأهمية البالغة كونه يجمع بين المطرف والمتـــوازن، فالدور الذي يلعبه التوازي في النثر هو ذات الدور الذي تلعبه القافية في الشعر، نظرا لامتلاكه نفس الوظيفة الجمالية الناجمة عن وجود مبدأين متلازمين هما مبدأ التجانس الصوتي أي اتفـــاق الفواصل في الحرف، ومبدأ التجانس الخطي، أي اتفاق الفواصل في الوزن، ويجب القول إن الفضل في شيوع تمظهرات التوازي يعود إلى السجلماسي الذي ارتقى بمصطلح التوازي إلى مرحلة متقدمة؛ إذ تنسب إليه كل الدراسات الحديثة عن نظرية التوازي (البغدادي، 2017، ينظر: 45).

التوازي عند المحْدثين:

أمّا مفهوم التوازي في الدراســـات الحديثة فقد شهد تطوراً في التنظير واتساعاً في الاستعمال، وضُمِّنت القافية والســـجع لتكونا جزئين رئيسين منه، فيما عدّه بعضهم قانوناً من قوانين الإيقاع والإبداع (الحســـناوي، 1986، ينظر: 221). وأحال ثلة من الباحثين نشأة التوازي إلى ملاحظة ذلك النوع من الإنشاد الديني للعهد القديم؛ إذ

كان الازدواج والتقابل يسيطران على الجمل والعبارات، فقد كانت البنية التكوينية للجملة الشعرية تقوم على أساس التساوي فيما بينها، أو التوازي بين عناصر كلّ جملة تامة، وربّما تتعدى ذلك أحياناً إلى وجوده في سطرين متتاليين يربط بينهما المعنى فتتوازى أو تتشابه وتتعادل المعاني غالباً مع المعاني، وأيضا الكلمات مع الكلمات في نسق متلائم كما لو كانت محكومة بقاعدة معروفة، أو بنوع من القياس الذي يتعذر الحياد عنه؛ ولأجل ذلك اعتنى الكثير من الباحثين بدراسة التوازي ولا سيما في الشعر العبري والتوراة، يرى (هوبكنز) أنّ التوازي سمة فنية معروفة للشعر اليهودي، ويُعرِّف المقطع الشعري بأنه صوت متكرر لصورة متساوية بشكل معين مبين عناصر كل جملة تامة (الشيخ، 1999، ينظر: 10، 11).

واتسعت رقعة نظرية التوازي لتحاكي المستوى الصوتي، والنحوي، والبلاغي، والمعجمي، وتنوعت أساليبه فأضحى أنواعاً كثيرة. فيما اتخذ بعضهم التوازي وسيلة للتحليل، حيث أُجري تحليل للتوراة في ضوء ثلاثة مظاهر من التوازي هي: التوازي الترادفي، والتوازي الطباقي، والتوازي التوليفي (ثامر، 1987، ينظر: 242، 243)، (كنوني، 1999، ينظر: 79). كما برز مصطلح التوازي في الدراسات الحديثة عند كلّ من محمد مفتاح، وعبد الملك مرتاض، حيث اثبت محمد مفتاح في كتابه «التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية» شحّ النظريات القديمة والحديثة في وضع مفاهيم إجرائية لوصف ظاهرة التوازي، كما أنّه لم يقتنع بما كُتب فيها، ويقرّ بجهود السجلماسي في هذا المجال فقال في حقّه: «ولعل كتاب (المنزع البديع) للسجلماسي يلخّص بعض ما تفرّق في كتب البلاغيين السابقين عليه، وما ورد في هذا الكتاب من مادة ومصطلحات يمهّد السبيل لدراسة التوازي في الأدب العربي دراسة علمية» (مفتاح، 1996: 98).

فالتوازن عند المحدثين «تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج أو

شــطري البيت الواحد، من حيث الإيقاع والوزن، أما التوازي فهو أن يســتمر هذا التــوازن في النص كلّه، كالذي نجده في القصيدة الشــعرية، حيث يتكرر إيقاع كل شطر منهما في كلّ بيت منهما ويســتمر حتى نهايتها، بحيث يكون الجناح الأيمن من القصيــدة يوازي جناحها الأيسر من حيث الوزن والإيقــاع» (ناجي، 1984: 59). وذهب البعض إلى أنّ التوازي قد ينظر إليه باعتباره ضرباً من ضروب التكرار إلا أنه تكرار غير تام (الزمر، 2002، ينظر: 36).

وأحتلّت نظرية التــوازي في الأدب العربي وكذا العالمي مكانة مرموقة لِما يضفيه من جمالية على البناء الأسلوبي واللفظي للنص فضلا عن المعنى الدلالي والإيحائي، إذ أصبح ظاهرة يخاطب شتى علوم العربية من نحو وصرف وبيان. ولأجل ذلك أهتم به أصحاب الشــأن كلٌ وفق اختصاصه ووضعــوا له وظائف وشروط وخصائص ليمتاز بها عن غيره من الأساليب، ومن تلك الخصائص:

1. التشابه: وهو استلزام تشابه الطرفين أو العبارتين عن طريق تكرارهما في البيت الواحد أو في مجموعة أبيات.
2. التكرار: هو الــتردد الذي يحدث خلال فوارق زمنية معينة، بين طرفين باتحاد كامل يجعل منهما شيئاً واحداً.
3. يشــترط في التوازي أن تكون الأطراف مشــتركة إما صوتيــاً، أو تركيبياً، أو دلالياً، أو جميعها.
4. اشــتراط الأهمية بين الطرفين؛ إذ لا يمكن أن يكون أحدهما ذا عناية والآخر مهملاً، إنّما يتوفر في أهميتها التساوي (تبرماسين، 2004، ينظر: 110).

المصطلحات المتواردة على التوازي:

قد تتوارد مصطلحــات كثيرة قريبة من مفهوم مصطلح التــوازي؛ لذا رأينا أن

نعرض عــددا من هذه المصطلحات لنرى التشــابه أو الفــرق بينها وبين مصطلح التوازي ومن هذه المصطلحات:

1. التكرار: يقترن مصطلح التوازي كثيرا بمصطلح الترار ولاســيما ان هناك من يــرى انه تكرار غير كامــل، والتكرار هو الإتيان بشيء مرة بعــد أخرى، وقد عرفه الزركشي بأنّه: «إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به» (الزركشي، 2007: 10/ 3)، وينقسم التكرار إلى قسمين:

القسم الأول: التكرار اللفظي: وهو إعادة اللفظ أو مرادفه، ويأتي على وجهين:

الوجه الأول: تكرار الكلمة اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً، ومن أمثلته تكرار كلمة (السابقون) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [سورة الواقعة، الآية: 10].

أمّــا الوجه الثاني: تكرار الجملة أو شــبه الجملة، ومن أمثلتــه في القرآن الكريم تكرار قوله: (من الكتاب)، و (من عند الله) في الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 78].

أما القســم الثاني: فهو التكرار المعنوي: وهو أن يكرر المعنى الواحد بأســلوبين مختلفين أو بأساليب مختلفة، ومن أمثلته في القرآن الكريم: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [ســورة الرحمن، الآية: 68]. والنخل والرمان من الفاكهة فأفردهما عن الجملة التي أدخلهما فيها.

ومن هنــا يفترق التوازي عن التكــرار الذي يتطلب التماثــل لا غير، فالتكرار يشــير الى التطابق التام اما التوازي فهو تكرار غير كامــل؛ وبذا يصير التوازي أعم من التكرار، والتكــرار أخص من التوازي، فكل تكرار فهو تــوازٍ وليس كلّ توازٍ

تكرارا؛ وذلك لأننا في الآثار المبنية على التوازي نضع في الاعتبار العلاقة التكرارية، وتكون العلاقة بينهما هي علاقة الاختلاف أو التفاوت بالثابت، فكل شكل من أشكال التوازي هو توزيع للثوابت والمتغيرات، وكلما كان توزيع الثوابت أدق كلما كانت القدرة على التمييز بين التوازي والتكرار، وقابلية التمييز وتأثير المتغيرات أكبر (الشيخ، 1999، ينظر: 18).

2. التشاكل: ذكر الشيء بلفظ مصاحبه؛ لوقوعه في صحبته، أو تبديل اللفظ المستعمل في المعنى بلفظ لا يستعمل في ذلك المعنى لمناسبة معتبرة هناك، والتعريف المشهور للتشاكل: «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته – أي في صحبة ذلك الغير – تحقيقاً أو تقديراً؛ لأن المقدر معلوم والمعلوم كالمذكور» (الجندي، 1954: 198). ومثال ذلك قوله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشورى، الآية: 40) فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلها، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة، الآية: 116]، والأصل: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك, فالله تعالى لا تستعمل في حقه لفظة النفس، إلا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس، فاللفظ أطلق على معناه، وفي القرآن الكريم: ويحذركم الله نفسه وكتب ربكم على نفسه الرحمة (حسين، 1983، ينظر: 61).

أمّا التشاكل من منظور حداثي فيجعلنا ننطلق من الفرضية التي دافع عنها محمد مفتاح (1985) والتي تعتبر التشاكل مفهوماً عاماً يشمل التكرار والتوازي والتجنيس، وإذا أخذناه بمفهومه الموسع فإنه سيتداخل لا محالة مع مفاهيم التوازي والاتساق، ولذلك فإننا نشير فقط إلى خاصية يمتاز بها عن غيره وهو التحليل

بالمقومات الذاتية وبالمقومات السياقية مما يجعله يجمع بين التحليل المفردي، والتحليل الجُملي، والتحليل النصي، ويتجاوز المعاني الظاهرة في النص إلى إيحاءاته الكاشفة عن التصور المعرفي والعاطفي للإنسان (مفتاح، 1994، ينظر: 159).

3. الاقتران: اقتران الشيء بالشيء هو اتصاله به ومصاحبته له، إمّا لوجودهما معاً في الزمان، أو المكان، وإمّا لتغير أحدهما بتغير الآخر. وقانون الاقتران في علم النفس أحد القوانين الثلاثة التي وضعها ارسطو لتفسير تداعي الافكار. وخلاصة هذا أنّ وجود حالتين معاً في النفس يولد بينهما ارتباطاً اقترانياً، بحيث إذا خطرت احداهما بالبال خطرت الثانية معها، مثال ذلك: أن رؤية السحاب تذكر بالمطر، ورؤية الدخان بالنار. وهذا الاقتران قد يكون زمانياً وقد يكون مكانياً، غير أنّ الاقتران المكاني لا يولد الارتباط إلاّ إذا كانت الصور مدركة في زمان واحد، وقد يكون بين الشيئين بُعد مكاني، فإذا فكرت في الأول عند نظرك إلى الثاني حصل الاقتران بينهما في نفسك؛ لأنّ الأصل في الاقتران هو الاقتران النفسي أو المعنوي لا الاقتران المادي (صلبيا، 1982، ينظر: 107).

ومن خلال ما تقدم من بيان للاقتران ونظيره التوازي نجد أن الاقتران ناظر غالبا إلى وجود تلازم وعلاقة في المعنى بين النصين المتقارنين, في حين أن التوازي ناظر إلى التشابه أو التناقض في اللفظ بين الوحدتين النصيتين.

مفهوم التوازي التركيبي:

لا يمكن النظر لأي وحدة كلامية بمعزل عن مجاوراتها من الوحدات الكلامية الأخرى، بمعنى آخر فإن أيّ وحدة كلامية لا تمنحنا أي معنى مخصص إلاّ بوجودها ضمن سياقها الذي يتحكم بمعناها من جهة، وبمعنى سائر الوحدات الكلامية المجاورة لها من جهة أخرى، فإن اللغة مكونة من وحدات كلامية متعددة ومتشابكة، تحكمها مجموعة من العلاقات التجاورية والسياقية التي من شأنها أن تحدد طبيعة

الدلالة التـــي تتحكم بكل وحدة كلامية من هذه الوحـــدات (لاينز، 1987، ينظر: 83).

فالكلمة تكون محققة لذاتها في فعاليتها في السياق، ومعنى الجملة ليس إلا مجموع السياقات التي تشـــكل الكلمةُ جزءاً منها، وليســـت دلالاتها إلا مجموع التأليفات المتحققة لكلمة ما، وإن البنية المتشكلة في النمط التركيبي المناسب تتوزع فيه الأدوار الوظيفية للكلمات بمقتضى دلالتها، إذ يتأثر المعنى الدلالي بنوع البنية الشكلية ويرتبط بها، وموقع الكلمة في الجملة يكشـــف عن حقيقة المعنى؛ لأن المعنى اللغوي يختلف نتيجـــة لنوع الوحدات الداخلة في التركيب، فاختلاف البنيات التشـــكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلالي وفقاً لحالات الاســـتعمال (خضير، 2023، ينظر: 25). يقول الجرجاني: «واعلم انّك إذا رجعت إلى نفســـك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الـــكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض وتُجعل هذه ســـبباً من تلك» (الجرجاني: 47). فالعلاقة الناظمة بين وحدات الكلام المختلفة لا تحمـــل أي معنى إلا من خلال علاقاتها مـــع بعضها، ومن خلال النظم القائـــم بينها، فمعاني النحو لا تقوم على أســـاس من التمازج بـــين معاني الوحدات الكلامية المكونة للجملة بأكملها (لورش، 1995: ينظر: 45).

تمثل الجملة الوحدة الأصغر في تكوين النص، فالنص وحدة تواصلية كبرى يليها في الصغر الجملة، والجملة مكونة من مجموعة من الوحدات الكلامية والكلمات، هذه الوحدات الكلامية تحمل معنى خاصا بها، ومجموع هذه المعاني المتضامنة إلى بعضها تشكل معنى تلك الجملة، ومجموعة المعاني المرتبطة بالجملة ذاتها تشكل معنى واسعا يحمل الطابع العام للنـــص بأكمله، فلا يمكن الحكم على معنى الكلمة الصغرى إلاّ بالنظر إلى سلســـلة العلاقات الناظمة بينها وبين سائر الوحدات الكلامية في الجملة ذاتها، وبالنظر إلى مجموعة تلك الجمل المكوِنـــة للنص بأكمله فإن المعنى رهين هذه

العنـــاصر كلها (خطابي: 130). فمعنى الجملة يتألـــف من عدة معانٍ جزئية، وليس مراد المتكلم من نظم الجملة هذه المعاني الجزئية، وإنّما هي وسيلة لغاية ينشدها، تتمثل في المعنى الدلالي الواحد، أي: إن المعاني الجزئية تتشـــابك وتتفاعل ســـاعية إلى غاية مســـتهدفة منها، وهي إبراز معنى دلالي واحد (حميـــدة، 1997، ينظر: 130). وهناك تبـــادل في العلاقات بين العناصر التركيبية النحوية والعناصر الدلالية في الجملة بدءا ووصولاً إلى النص بأكمله، والنص كذلك فإن علاقة الوحدات الكلامية في الجملة الواحدة قائمة على أســـاس من التكامل التركيبي، فـــإن المعاني تنطلق من التركيب، إذ لا بد من اســـتمداد تلك المعاني من خلال العلاقات التركيبيـــة النحوية الناظمة للجملة، وهذا كله يشـــير إلى ذلـــك التوازي الأفقي بين تلـــك الوحدات الكلامية والتـــوازي الأفقي لا يـــأتي إلاّ من خلال العلاقات التركيبيـــة النحوية بين العناصر الجُملية المختلفة (عبد اللطيف، 1983: 113).

ولا يقتصر تمام الاتساق في الدلالة فحسب، وإنّما يتم أيضاً في النحو وفي المفردات، إذ إنّ التفاعـــل بين المعاني المعجمية والوظيفية الجزئية داخل الجملة لا بد له من نظام تتفاعلي فيما بينها كي تؤدي في النهاية المعنى الواحد المنشود، وأساس هذا التفاعل هو التركيب النحوي، إذ لولا التركيب النحوي ما نشأ المعنى الدلالي الواحد المفهوم من الجملة. إنّ الجملة المقبولة دلالياً لا بد أن تتضمن علاقات تلاؤمية صحيحة، وهذه العلاقات علاقات أفقيـــة، أي إنّها تركيبية ولا يمكن أن تنشـــأ إلا بطريق التركيب النحـــوي، ومن هنا يفترض أنّ التركيب النحوي هو الوســـيلة المباشرة التي أعدتها اللغة لنشـــوء المعنى الدلالي للجملة (حميدة، 1997، ينظر: 131). كما أنّ هناك تفاعلاً بـــين العناصر النحوية والعناصر الدلالية إذ إنّ العنصر النحوي يمد العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، كما يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك بعدد من الجوانب التي تســـاعد عـــلى تحديده وتمييزه، فبين

الجانبين أخذٌ وعطاء وتبادل تأثيري مستمر (عبد اللطيف، 1983: 113). فالقصد معرفة ولكن ما تحدثه قواعد النحو وما سيتبعه من معنى وما يتولد عن النظم من مدلول، إذ إنّ الغرض ليس بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل (لورش، 1995، ينظر: 45).

ومن الأنساق التي تسهم في انتظام النص، نسق التوازي وله أهمية كبيرة؛ «لأنّه عنصر تأسيسي وتنظيمي في آن واحد» (مفتاح، 1994: 149). وهو الذي يتجلى في نسق من التناسبات المستمرة على مستويات متعددة في مستوى تنظيم البنى التركيبية وترتيبها، وفي مستوى تنظيم الأشكال والمقولات النحوية وترتيبها، وفي مستوى تنظيم الترادفات المعجمية وتطابقات المعجم التامة وترتيبها، وفي مستوى تنظيم تأليفات الأصوات والهياكل التطريزية وترتيبها، وهذا النسق يكسب الأبيات المترابطة بوساطة التوازي انسجاما واضحا وتنوعا كبيرا في الآن نفسه، وإنّ القالب الكامل يكشف بوضوح تنوعات الأشكال والدلالات الصوتية والنحوية والمعجمية (ياكوبسون، 1988، ينظر: 106).

والموازاة موجودة في الشعر وفي النثر، إلا أنّ هنالك فرقا هرميا واضحا بين موازاة الشعر وموازاة النثر، ففي الشعر يكون الوزن بالضبط هو الذي يفرض بنية التوازي، وتحدد البنية العروضية عموما والوحدة الموسيقية وتكرار البيت ومكوناته الوزنية، وتحدد جميعُها التوزيع المتوازي لعناصر النحو والدلالة اللفظية وينظم الصوت المعنى بالضرورة، ويحظى هنا بالأسبقية على الدلالة, وعلى العكس من ذلك نجد في النثر أن الوحدات الدلالية والمعنوية هي التي تنظم بالأساس البنيات المتوازية، وفي هذا الحال يؤثر توازي الوحدات المترابطة في أساس المشابهة أو التباين أو المجاورة بشكل فعّال على بناء الحبكة, وعلى تخصيص ذوات الفعل ومواضيعه، وعلى تتابع الموضوعات في النثر (ياكوبسون، 1990، ينظر: 108). إذ إنّ البنى المتكئة على التركيب النحوي

من أهم العناصر المكونة للتوازي؛ لأنها تعِين على تحديد السمات النحوية الأساسية في اللغة وانظمتها، وتعين على فهم أبعادها الدلالية والتعمق في الفكر اللغوي لأي مجتمع من المجتمعات، فالتشاكل النحوي يؤدي وظيفتين مهمتين، فيخدم البعد الإيقاعي بتكرار التركيب وانتظامها من جانب، ويهدف من جانب آخر إلى تبليغ رسالة ما؛ لأنّ هذه التراكيب ذات طابع جمالي تأثيري فضلا عن طبيعتها المعنوية والعلاقية (رواشدة، 1998، ينظر: 19). ومن هنا لا يمكن أن تكون بنية التوازي بنيةً شكلية فقط، إذ إنها بنيةٌ ترتبط بالمعنى والدلالة ارتباطاً وثيقاً (ربايعة، 1995: 2033).

بناء على ما تقدم فإنّ مفهوم التوازي التركيبي يتعلق بسلسلتين متواليتين أو أكثر لنفس النظام النحوي المصاحب بتكرارات أو اختلافات إيقاعية، وصوتية، ومعجمية دلالياً، وبذلك يكون التوازي التركيبي: تأليفاً لمجموعة من الثوابت والمتغيرات، فالثوابت عبارة عن تكرارات خالصة، في مقابل المتغيرات التي هي بمنزلة اختلافات خالصة، فالموازاة تأليف ثنائي والموازاة تعادل وتماثل، وليست تطابقاً، إلا أن مفهوم التماثل فضلاً عن ذلك يمحو بطريقة ما عدمَ التساوي بين الطرفين (ياكوبسون، 1988، ينظر: 113).

الملاحظ أن مصطلح (التوازي التركيبي) يرتكز على ركيزتين هما: (التوازي) وقد بيّنا مفهومه، و (التركيبي)، وهذا الأخير مصطلح كبير يشير إلى مجموعة من العلاقات الناظمة لوحدات الكلام، وهذه العلاقات يمكن لنا أن ننظر إليها من جهة علم اللغة الوصفي، والحديث عنها ضمن مجموعة التراكيب التي تظهر في مكنونات اللغة (باي، 1998، ينظر: 36).

تشير ركيزة التركيب في اللغة إلى مجموعة من العناصر التي يمكن لنا أن ننظر إليها من خلال علاقات الوحدات الكلامية المتجاورة ببعضها، أو ما يمكن لنا أن نطلق عليه «مفهوم الإسناد» كما هو معروف عند القدماء، إلا أن مصطلح التركيب يتسع

ليشمل مجموعة من العناصر الأخرى التي من شأنها أن ترفد المعنى مع عُمَد الكلام، وهذه العناصر يُطلق عليها مصطلح «مكملات الإسناد»، فالمستوى التركيبي هو ذلك المستوى الذي يتسع لتحليل عناصر اللغة إلى مسند ومسند إليه ومكملات (حجازي: 36).

وهذا يعني أن علاقة التضايف[1] بين لفظ «التوازي» ولفظ «التركيبي» يشير إلى ملامح التماثل والتشكل والتساوي بين وحدات الكلام المختلفة ضمن إطار التركيب، وليس الأمر عاماً هكذا، بل لا بد من الإشارة إلى أن عنصر التركيب هو العنصر الأساسي في تحديد ملامح هذا التوازي ضمن السلسلة الكلامية (الحجايا 2016، ينظر: 12). فالتوازي التركيبي اذن قائم على أساس تشاكل البنيات التركيبية، وذلك ضمن عناصر الإسناد وما يتبعها في الجملة العربية، وهذا التشاكل التركيبي يقوم على أساس التناسق بين عناصر المتسلسلة الكلامية الأولى، وعناصر المتسلسلة الكلامية الأخرى، كأن يُبنى التركيب الاسمي على نسق: أسم معرفة علم + خبر جملة فعلية فعلها مضارع (الحجايا 2016، ينظر: 12، 13).

أنواع التوازي التركيبي:

ينقسم التوازي التركيبي إلى قسمين هما:

1 - توازي البنى المتشابهة:

ترتسم المتواليات في هذا النوع من التوازي على «وفق الصورة النحوية نفسها التي تنتظم في صيغ متوازنة» (كنوني، 1997، ينظر: 118). كما ويقوم هذا النوع على تشابه الوحدات الكلامية ضمن السلسلة اللغوية، وهذا التشابه لا يصل إلى حد التطابق أو التماثل, أي إنّ هذا التماثل غير تام، إنما هو تشابه في العلاقة النحوية والبنية

(1) ينظر: التضايف: كون الشيئين بحيث يكون تعلق كل واحد منهما سببًا بتعلق الآخر به، كالأبوة والبنوة (السيد الشريف، 1986، ينظر: 60).

الصرفية، ومثاله التشـــابه القائم بين: لن, ولم (كنوني، 1997، ينظر:121)، (خضير، 2023، ينظر: 39).

2 - توازي البنى المتغايرة:

يقوم هذا النوع على «أســـاس التناقض الحاصل بـــين طرفين متقابلين» (كنوني، 1997: 271). أي على أســـاس من التقابل بين وحدتين كلاميتين ضمن سلســـلتين لغويتـــين، ينطلق فيه هذا التوازي مـــن التغاير أو التناقض بـــين هذين العنصرين، كالتـــوازي الماثل بين المعرفة والنكرة، أو الحذف والذكر، أو النفي والإثبات، أو بين الاســـم والفعل، أو كالتوازي بين الصيغ النحوية المتوازية نحويـــاً المختلفة دلالياً، مثل: كان وأصبح، ولن وحتـــى، وإن ولكن (كنوني، 1997، ينظر: 121)، (خضير، 2023، ينظر: 39).

وظيفة التوازي وأهميته في البناء اللفظي والدلالي

إن نســـقية التوازي لها أهمية كبيرة في تماسك النص وانسجامه؛ لأنها تُعدّ عنصراً تأسيســـياً وتنظيمياً في آن واحد (مفتاح، 1994، ينظـــر: 149). وتبرز أهميته في جملة التناســـبات المستمرة على مســـتويات متعددة منها: مســـتوى تنظيم البنى التركيبية، ومستوى تنظيم الأشكال والمقولات النحوية، ومستوى تنظيم الترادفات المعجمية، وتطابقـــات المعجم التامة، ومســـتوى تنظيم التآليف الصوتيـــة والهياكل التطريزية وترتيبها؛ مما يكسي الأبيات المترابطة بمعونة التوازي في نســـقيته انســـجاماً واضحاً وتنوعاً جلياً وتمظهراً بارزاً في الآن نفسه. وإن القالب الكامل يكشف بوضوح تنوع الأشكال والدلالات الصوتية والنحوية والمعجمية (ياكوبسون، 1988، ينظر: 106).

اســـتناداً إلى ما ســـلف بيانُه يُعدّ التوازي ظاهرة خطابية شاعرية قديمة، تشهد له بذلك النصوص الموروثة عن السلف قبل الخلف، ومنها في النثر على سبيل التمثيل لا

الحصر قول «قس بن ساعدة الأيادي» في خطبته الشهيرة «أيها الناس اسمعوا واعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت،... إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً،... يقسِمُ قِسٌّ بالله قسماً لا أثم فيه، إن لله دينا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه» (الطبراني، 1983: 67)، يعدّ هذا المقطع النصوص الخطابية الموروثة والشهيرة، فهو نظم منثور ونثر منظوم اتكأ فيه قائله في مقالته على التقسيم المتوازي في البنى التركيبية؛ إذ عمد إلى ما ينتجه الترادف والتضاد في البنى المعجمية، ثُمّ ما يُفرِزه البناء النحوي من إيقاعات صوتية متساوية، لتمكين كلامه في نفوس مُخاطَبيه (عبدالله، 2015: ينظر: 20).

أمّا في الشعر فهو ظاهرة أشهر من أن يستدل له، إذ الشعر العربي كله شعر التوازي حسب ما قُرر في الآثار، ومنه قول زهير بن ابي سلمى في معلقته (في ديوانه: 110):

رَأيتُ المَنَايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَن تُخطيءُ يُعمَّرْ فيَهرَمِ
وأعلم ما في اليومِ، والأمسِ، قبله ولكِنّني عَن عِلْمِ مَا في غَدٍ عَم

إذ نجد أنّ الشاعر هنا تصرّف في مقابلة الأشياء بمستلزماتها؛ ليُشْرِكَ المُتلقي معه في خبراته ويقنعه برأيه، عبر قناة الخطاب التي أساسها التأثير والتأثُر (عبدالله، 2015، ينظر: 20).

والحق أنّ لظاهرة التوازي في القرآن الكريم أهمية بالغة؛ إذ إنّ القرآن الكريم اشتمل في تراكيبه البديعة على خصائص نثرية وأخرى شعرية، تتجسد في موسيقاه الرفيعة التي تنبّه اليها القوم منذ قديم الزمان، يقول سيد قطب: «إن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحَّدة والتفعيلات التامة؛ فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني

عن التفاعيل، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي،... فنشـأ النثر والنظم جميعاً» (قطب، 1945: 103).

الدوال الكلامية للتوازي التركيبي في اللغة:

الدالة الأولى: تقوم على أسـاس مـن إيراد فكرة في السلسـلة الكلامية الأولى، وإيـراد ما يرادفها أو يخالفها في المتوالية التـي تليها، ويهدف هذا النمط من التوازي إلى إقناع المتلقي بما في المتواليتين من فكرة. وهذا النمط من التوازي يدخل في صميم فكرة التوازي (الترادفي) (رواشـدة، 1998، ينظر: 21، 22). ويمكن أن نطلق عليها دالة التضاد أو الطباق، وتقوم هذه الدالة على أسـاس معارضـة المتوالية الأولى أو إنكارهـا، وهو مفهوم الطباق في اللغة (رواشـدة، 1998، ينظـر: 23). ومثال هذه الدالة ما جـاء في وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسـيد إذ إنّه لما احتضر دعا ابنه أسـيدًا؛ فقال له: «يا بني إنّ أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سـئم العيش، وإن موصيك بما إن حفظته بلغـت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني، ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسـودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسـمح بمالك، وارحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ؛ فإن لك أجلا لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد شـيئًا، فبذلك يتم سؤددك» (ابن كثير، 1986: 218/ 5). نلاحظ أنّ النص حافظ على تماسـكه وذلك من خلال المطابقة التي حققها التوازي التركيبي، قال أبو هلال العسـكري (ت 395 هـ): «قد اجمع النـاس أنّ المطابقة في الكلام هو الجمـع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسـالة أو الخطبة أو البيت من أبيات القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد، وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب فقال: المطابقة إيراد لفظتين متشـابهتين في البناء والصيغة،

مختلفتين في المعنى» (العسكري، 1984، ينظر: 339). فيقوم النص السابق لأبي الاصبع على أساس التوازي التقابلي بين الكلمات: (فني، حي)، (وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم)، (يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم). وغيرها من عناصر التوازي التقابلي بين هذه العناصر الكلامية (الحجايا 2016، ينظر: 15).

الدالة الثانية: وتكون فيها المتوالية الأولى ناقصة دلالياً يمكن إتمامها في الدالة الثانية أو الثالثة (رواشدة، 1998، ينظر: 22)، ومثال هذه الدالة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [سورة الكهف: الآية 34]، فاشتملت الآية الكريمة على توازٍ تركيبي بين الدوال الآتية: (اكثر منك مالا) و (اعز نفرا)، فظهر لنا كيف أن المتوالية الأولى: (اكثر منك مالا)، لم يتم معناها عند هذا الحد، بل تجاوزته وانتقلت إلى المتوالية التي بعدها، وكلّ ذلك قائم على أساس التوازي بين المتوالية الأولى وما يليها. ولا شك أن لهذا التوازي بين المتواليات أثراً بالغا في التأثير في المتلقي في القرآن الكريم، ولا سيما حين يرتبط بتوالي الجمل المتعاقبة التي يكون القصد منها إقناع المتلقي بما في المتواليتين (خضير، 2023، ينظر: 43) (الحجايا 2016، ينظر:16)

فأراد المرسل أن يؤثر في المتلقي من خلال جمع عناصر القوة كما يراها المرسل وهي (المال والأولاد)، فكان التوازي

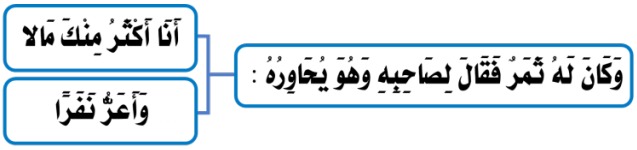

فجاء التوازي في الآية الكريمة بين (أنا أكثر منك مالا) و (وأعز نفرا)، وممّا يلاحظ في المتواليتين أن المتوالية الثانية جاءت مكملة للأولى في المعنى وبذلك يحقق المرسل الجمع بين المال والأولاد، ومما يلاحظ أيضا على هاتين المتواليتين انهما حققتا التماثل

والتماسك فاعتمدتا في بناء التماثل على التركيب النحوي وتكرار صيغة (افعل) ومع ذلك فهـــذا التماثل غير كامل فهما غير متطابقتين؛ إذ جـــاء الحذف ليحقق بعدا آخر ضمن مفهوم التماسك ويستفز المتلقي ليعيد صياغة المعنى ويتمثله في ذهنه

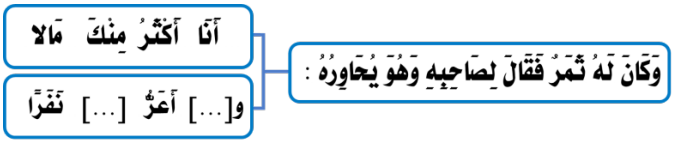

فوقع الحذف في المتوالية الثانية؛ إذ حذف (أنا) و (منك) وتقدير الكلام (أنا أكثر منك مالا، وأنا أكثـــر منك نفرا) فالنص هنا يدل على محاولة المرســـل المفاضلة على المتلقي من حلال استعمال اسم التفضيل وتكثيف المعاني بعبارات مختصرة.

الخلاصة:

في ختام هذه الرحلة توصل البحث الى مجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها بما يأتي:

مثل التوازي ظاهرة مهمة ذلك أنّه بوجوده في بنية النصوص جميعها وليس ذلك فحسب بل إنّه يعد المحرك الأساس لكثير من العناصر داخل النص.

يعمل التوازي على ترابط النص وتماســـكه ومن ثم انسجامه فهو عنصر تنظيمي وتأسيسي يسهم في دعم بنية النص من خلال الاعتماد على عناصر كثيرة منها التكرار والحذف والسبك المعجمي والتماســـك الدلالي فضلا عن توزيع الوحدات اللغوية داخل النص بما يخدم تماسكه وانسجامه.

للتـــوازي دالات عدة منها الـــترادفي او التضاد ومنها التكميـــلي التي تعتمد على المتواليات جميعها لايضاح الفكرة

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، ضياء الدين. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. قدم له وشرحه وعلق عليه. د.أحمد الحوفي. ود.بدوي طبانة. منشورات دار الرفاعي بالرياض. ط2. 1403هـ 1983م.
- ابـــن جعفر، أبو الفرج قدامة بـــن جعفر. **جواهر الألفاظ**. تحقيق: محمـــد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1. 1399هـ 1979م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحســـن بن دريد الأزدي (ت321هـــ). **جمهرة اللغة**. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين بيروت. ط1. 1987م
- ابن ســـيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن ســـيده المرسي (ت 458هـ). **المحكم والمحيط الأعظم**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية بيروت. ط1. 1421 هـ 2000م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. 1392هـ 1972م.
- ابن كثير، أبو الفداء إســـماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ). **البداية والنهاية**. دار الفكر 1407 هـ 1986م
- ابن منظور. **لسان العرب**. دار صادر. بيروت لبنان. ط3. 1414هـ 1994م.
- ابن يزيد، الحافظ أبي عبد الله محمد القزويني (ت275هـ). **سنن ابن ماجة**. حققه: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. د.ط. 1971م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ). **ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي**. حققه: محيي الدين خياط. مكتبة محمد علي صبيح. القاهرة – مصر. ط1942 , 1م.
- أبي الإصبـــع، عبد العظيم بن الواحـــد بن ظافر ابن أبي الإصبع العـــدواني. البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ). **تحرير التحبير في صناعة الشـــعر والنثـــر وبيان إعجاز القرآن**. تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف. الجمهوريـــة العربية المتحدة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي
- الأعشـــى، ميمون بن قيس بن جندل (ت7هـ). **ديوان الأعشـــى**. حققه: د. محمد حسين. مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة – مصر. ط1. 1950م.
- باي، ماريو. **أســـس علـــم اللغة**. حققه: أحمد مختـــار عمر. عالم الكتـــب للطباعة والنشر

والتوزيع. الرياض – المملكة العربية السعودية. ط8. 1998م.

- بغدادي، نسيمة. **أسلوبية التوازي في القرآن الكريم. سور هود الحجر الشعراء انموذجا.** أطروحة دكتوراه. بإشراف: د. محمد بن صالح. قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب واللغات جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر. 2016 – 2017م.
- تبرماسين، د. عبد الرحمان. **التوازنات الصوتية التوازي البديع التكرار.** مجلة المخبر أبحاث في اللغة والادب الجزائري. ع1. 2004م.
- ثامر، فاضل. **مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع.** دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد العراق. ط 1. 1987م.
- الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز.** صححه وشرحه وعلق عليه: أحمد مصطفى المراغي. راجعها: محمد عبده. و محمد محمود الشنقيطي. المطبعة العربية. ط 2. د.ت.
- الجندي، علي. **فن الجناس بلاغة _أدب _ نقد.** دار الفكر العربي. القاهرة – مصر. ط1. 1954م.
- حجازي، د. محمود فهمي. **المدخل إلى علم اللغة.** دار قباء للطباعة والنشر. القاهرة – مصر. د.ط. د.ت.
- الحجايا، انصاف عبد الله. **التوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم دراسة في الاساليب النحوية.** رسالة ماجستير باشراف: أ.د. عادل بقاعين. قسم اللغة العربية. كلية الدراسات العليا جامعة مؤتة. الأردن. 2016م.
- الحسناوي، محمد. **الفاصلة في القرآن.** المكتب الإسلامي. بيروت لبنان. دار عمار. عمان الأردن. ط 2. 1406هـ 1986م.
- حسين، د. عبد القادر. **فن البديع.** دار الشروق. القاهرة – مصر. ط1. 1983م.
- حميدة، د.مصطفى. **نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية.** طبع في دار نوبار للطباعة. القاهرة مصر. ط1. 1997م.
- خضير، د. عبد الله خليف الحياني. **التوازي التركيبي في القرآن الكريم.** دار نون للطباعة والنشر. مطبعة نركال. الموصل العراق. ط1. 1444هـ 2023م.
- خطابي، محمد. **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب.** المركز الثقافي العربي. د.ت.
- ربايعة، موسى. **(ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء).** مجلة دراسات العلوم الإنسانية. مج22 (أ). ع5. 1995م.

- رجب، عبد الجواد. **الجمل المتوازية عند طه حسين دراسة في أحلام شهر زاد**. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة – مصر. د.ط. 2000م.
- رواشدة، سامح. **(التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة)**. مجلة أبحاث اليرموك. مج 16. ع 2. 1998م.
- الزركشي، الإمام بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله (ت794هـ). **البرهان في علوم القرآن**. قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1. 428هـ 2007م.
- الزمر. أحمد قاسم. **معالم أسلوبية عند ابن الأثير من كتاب المثل السائر**. مجلة المورد. ع 2. 2002م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (ت626هـ). **مفتاح العلوم**. تحقيق: أكرم عثمان يوسف. مطبعة دار الرسالة. بغداد العراق. ط1. 1400هـ 1981م.
- السلجماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري. **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**. تقديم وتحقيق: علال الغازي. مكتبة المعارف. الرباط المغرب. ط1. 1401هـ 1980م.
- السيد الشريف، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني. **التعريفات**. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد العراق. 1406هـ 1986م.
- الشيخ، د. عبد الواحد حسن. البديع والتوازي. ط1. مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية. مصر. 1419هـ 1999م
- صليبا، د.جميل. **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية**. دار الكتاب اللبناني. لبنان. دار الكتاب المصري. القاهرة مصر. 1982م.
- الطبراني، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ). **الأوائل**. حققه وخرجه: محمد شكور الحاجي أمرير. مؤسسة الرسالة. بيروت – لبنان. ط1. 1983م.
- الطرماح. **ديوان الطرماح**. تحقيق: عزة حسن. وزارة الثقافة والإرشاد القومي مديرية إحياء التراث القديم. دمشق سورية. 1968م.
- عبد اللطيف، محمد حماسة. **النحو والدلالة. مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي**. ط1. 1983م.
- عبد الله، العربي. **بلاغة التوازي في السور المدنية**. رسالة ماجستير. بإشراف: د. بوعزة عبد القادر. قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب والفنون. جامعة وهران. السانيا. الجزائر. 2014. 2015م.

- العســكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن ســهيل. **كتاب الصناعتين. الكتابة والشعر**. تحقيق: د.مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط2. 1404هـ 1984م.
- عمر، د. أحمــد مختار (ت1424ه). **معجم اللغة العربية المعــاصرة**. عالم الكتب. القاهرة – مصر. ط1. 2008م.
- فرحان، د.فهد محســن. **التوازي في لغة القصيدة العراقية الحديثة. (شــعر ســامي مهدي) مقاربة تطبيقية)**. مهرجان المربد الشعري الرابع عشر. بغداد. 1998م.
- القزوينــي، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن. **الإيضاح في علوم البلاغة**. بتحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى. بغداد. د.ت.
- قطب، سيد. **التصوير الفني في القرآن الكريم**. دار المعارف. (د.ط). 1945م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. **الكليات**. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. قابله على نسخة خطية واعده للطبع ووضع فهارسه: د.عدنان درويش. ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان. ط2. 1419هـ 1998م.
- كنوني، محمد. **(التوازي ولغة الشعر)**. مجلة فكر و نقد. السنة الثانية. ع 18. 1999م.
- كنوني، محمد. **اللغة الشعرية**. دراسة في شعر حميد سعيد. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد العراق. ط 1. 1997م.
- لاينز، جون. **اللغة والمعنى والسياق**. ترجمة: د.عباس صادق الوهاب. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد العراق. ط 1. 1987م.
- لورش، د. نور الهدى. **علم الدلالة دراسة وتطبيق**. منشورات جامعة قار يونس. بنغازي. ط1. 1995م.
- مفتاح، د.محمد. **التشابه والاختلاف. نحو منهاجية شمولية**. المركز الثقافي العربي. بيروت لبنان. الدار البيضاء المغرب. ط1. 1996م
- مفتاح، د.محمد. **التلقي والتأويل مقاربة نسقية**. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء المغرب. ط1. 1994م.
- مفتاح، محمد. **مدخل إلى قراءة النص الشعري**. مجلة فصول. مج 16. ع 1. 1997م.
- ناجي، د. محمد عبدالحميد. **الأســس النفسية لأساليب البلاغة العربية**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت لبنان. ط 1. 1404هـ 1984م

- نصوص الشـــكلانيين الروس. **نظرية المنهج الشـــكلي**. ترجمـــة: إبراهيم الخطيب. الشركة المغربية للناشرين المتحدين. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت لبنان. ط1. 1982م.
- النويري، شـــهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب. **نهاية الأرب في فنون الأدب**. نسخة مصورة عن دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصريـــة العامة للتأليف والترجمـــة والطباعة والنشر. القاهرة. مطابع كوستاتســـوماس وشركاه. د.ت.
- ياكبسون، رومان. **أفكار وأراء حول اللســـانيات والأدب**. دار الشؤون الثقافية. بغداد – العراق. د.ط. 1990م.
- ياكوبسون، رومان. **قضايا الشعرية**. ترجمة: محمد الولي. ومبارك حنون. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء المغرب. ط1. 1988م.